كلمة العدد

الحرية المسئولة

بقلم

د. محمود أبــو العزائم

رئيس التحرير

الشباب هـم أمـل الحاضر وكـل المستقبل والشباب هم مستقبل الأسـرة وهـم أملها فى مستقبل أفضـل، ويمـر الشبـاب فـى مراحل النمو المختلفة بالكثير من التغيّرات النفسية والجسمانية بداية من مرحلة الطفولة مرورا بمرحلة المراهقة التى تنتهى ببلوغه سن الرشد.

ومن أهم مشاكل المراهقة حاجة المراهق للتحرر من قيود الأسـرة والشعور بالاستقلال الذاتى. وهذه المشكلة هى السبب الرئيسى فى معظم الصـراعـات التى تحدث بـين المراهق وأسرته... ومن أمثلة تلك الصراعات الصراع فى حرية اختيار الأصدقاء .. وطريقة صرف النقود أو المصروف ... ومواعيد الرجوع إلى المنزل فى المساء ... وطريقة المذاكـرة ومشاكل الـدروس الخصوصية.. وطريقة اختيار الملابس وقص الشعر.. واستعمال سيارة الأسرة فى سن مبكرة وبدون وجود ترخيص القيادة .. وأمور أخرى.

إن كلا من الأسـرة والأبناء يجب أن يعترفوا بوجود هـذه المشاكل الطبيعية حتى يستطيع الجميع التكيّف معها وأن يبذلوا جهدهم ويغيّروا سلوكهم حتى يتجنبوا الصدام العنيف والوصول إلى بر الأمان حتى يسود الأسرة جو من المحبة والطمأنينة.

******

وفى أحد الأيام دخلت امرأة فى خريف العمر حجرة الكشف فى العيادة النفسية وكانت فى حالة من التوتر والحزن الشديد ،وكان من مظهرها يبدو عليها أنها من الطبقة الثرية والمثقفة فى المجتمع، وكـان بصحبتها ابنتها التى تبلغ من العمر ٢٢ عاما ،وبعد أن جلست الأم بادرت فى البكاء ولم تستطع التواصل البصرى ،وبعد أن تمالكت نفسها بدأت فى الكلام بطريقة متشنجة وهى تنظر إلى ابنتها وتكاد تهجم عليها من فرط الانفعال والغضب وبدأت تسرد شكواها قائلة:

يا دكتور أنت الأمل الأخير أمام الأسرة قبل أن يقدم أهل الابنة على القضاء عليها غسلا للعار الذى جلبته لنا جميعا... أقسم بالله أننى ظللت مدة طويلة أرجو إخوتها أن يعطونى فرصة لعرض المشكلة على الطب النفسى لعل وعسى أن يكون هناك مخرج كريم لنا للخروج من هذه الورطة.

بـادرتهـا قـائـلا: أرجـو أن تهدئى وتشرحى بالتفصيل ما هى هذه الورطة وما سببها ومتى بدأت حتى أستطيع تقديم يد العون.

يا دكتور ابنتى مريضة بالتعرى أمام النت، وهى إذا أتيحت لها الفرصة لتخلو بنفسها فإنها تتهز هذه الفرصة وتقوم بالتقاط صور لجسدها العارى وتقوم بنشر تلك الصور للمعارف والأهل والأصدقاء غير مبالية بدين ولا عادات ولا تقاليد ولا حتى للآداب الاجتماعية العادية.

وهنا تدخلت الابنة وقاطعت الكلام بصوت ذى نبرة عالية محتجة على كلام الأم ومهددة بمقاطعة الجلسة ومغادرة حجرة الكشف فورا إذا لم يتم التوقف عن الاستمرار فى توجيه الإهانات اليها.

بادرتها بالسؤال ؟؟؟ هل هذه القصة لم تحدث فى الأصل أم ماذا؟!

يا دكتور أنا حرة فى حياتى وأنا أكثر من مرة قلت لهم إننى قد بلغت سن الرشد وأستطيع الانفصال عنهم وتدبير حياتى بمفردى ،وأظن الدستور الجديد قد أقر حق كل إنسان راشد فى أن يدير حياته بدون تدخل الآخرين ،وأعتقد أنك إنسان مثقف سافرت للعديد من دول العالم وشاهدت ولاحظت بنفسك مدى الحرية التى وصل الإنسان إليها فى تلك الدول ومدى ما أفادت تلك الحرية لتقدم ورقى تلك الشعوب ،وأظن كذلك أنك تعلم أن من ضمن هذه الحريات حرية الجسد وحرية التمتع به كما أشاء ما دمت لم أتسبب فى الإيذاء لأى فرد آخر.

وهل إذا قام أحد الآبـاء (الوالد أو الوالدة مثلا) بنشر صور عارية له ..هل سوف تقبلين ذلك وتعتبرين ذلك حرية شخصية؟

أعتقد أنهم كبار السن ولن يرغبوا فى ذلك ، ولأن لهم أسرة عليهم التزامات تجاهها.

ولـكـن هـل التزاماتهم تحد مـن حريتهم الشخصية وإظهار مفاتنهم الجسدية؟

ما دام هذا التمتع لم يجلب الضرر لأحد.

ولكن الأسرة تضررت من نشرك لتلك الصور.. أليس من تمام حرية الإنسـان ألا تسبب تلك الحرية ضررا لإنسان آخر!!

وهـل نشر الـصـور يستدعى الـعـرض على الطبيب النفسى ؟...هل أنا مجنونة ..وهل التعرى ونشر الصور مرض نفسى؟

نعم هناك بعض الاضـطـرابـات الجنسية يحدث فيها حب الاستعراء من كشف العورات أمـام الغرباء ،ويبدأ اضطراب الاستعرائية - وهو نوع من السلوك الجنسى الشاذ - يتكون من تعريض الجسم، أو جزء منه خاصة الأعضاء التناسلية أو السير عاريا من أجل هدف الإرضاء الجنسى ،ويكون الوسيلة المفضلة عنده لتحقيق اللذة الجنسية. وهناك عوامل بيولوجية قد تؤدى إلى هذا الاختلال، حيث وُجد أن معدل الهرمونات غير طبيعى لدى ٧٥٪ من المرضى. كما أن هناك عوامل نفسية واجتماعية ،حيث هناك شخصيات ذات بنية نفسية هشة تعانى من عقد نفسية منذ الطفولة تتعلق بخوفها المستمر من التفاعل مع الآخرين ،ومن جراء ذلك يعيش ذلك الفرد فى عالم الخيال ،وهـذه الأيـام بفضل الإنترنت والمواقع الإباحية يتم تغذية هذا الخيال بصورة مستمرة.. كما أن بعض مرضى التخلف العقلى يخلعون ملابسهم أمام الآخرين بدون وعى.

ولكنى لا أعانى من كل ما ذكرت ،ولا أعانى من التخلف العقلى، وأعتبر نفسى حرة ومسئولة عن تصرفاتى، وهل كل ممثلة أو فتاة إعلانات تنشر صورها على النت سوف تعتبرونها مريضة نفسية أم أنها حرة تستمتع بجسدها بحرية ونضوج ورقى.

إذن فنحن أمـام إنسانة ،راشـدة ،عاقلة ، تتصرف بحرية فى أمور حياتها ولكنها حرية غير مسئولة.

******

وهنا سوف نناقش أهمية الحرية لكل فرد منا ،وما هى الحرية التى ينشدها الجميع وعلاقة الحرية بالتقدم والرقى...

الإخوة الأعزاء إن الحرية والمسؤولية وجهان لعملة واحـدة اسمها حق التعبير، فأنت حر ما لم تضر، لأن الإنسان مخلوق اجتماعى بطبعه لا يستطيع العيش لوحده، لهذا هو يحتاج لوسط يمارس فيه حريته واستقلاله الذاتى، ويخضع بذلك للقيود الضرورية التى تضع الفواصل بين حدود استقلاله الذاتى أو حريته وبين ما يتمتع به الآخرون من قيم مقابلة.

وإنّ مـا نـراه الـيـوم مـن انـفـلات أخلاقى وتحلل فكرى وعرى جسدى ونكوص عن الدين والانغماس فى الماديات والشهوات بدعوى حرية النفس والروح والجسد ورقيا حضاريا وفنا راقيا - من وجهة نظرهم - هو مظهر من مظاهر انهيار الأمم السابقة ومن رغب يستطيع مراجعة تاريخ الأمم السابقة فى ذلك الأمر.

ولو تتبَّعنا آيات القرآن الكريم سنجد فيها ما يُؤكّد على ضرورة سَتْر العَوْرات، والتّحذير من فِتَنِ الجسد وشَهَواته، وتحقيق التّوازن بين سَتْر الإنسانِ لسَوآته باللّباس والاعْتِدال فى زِينَتِه، وبين سَتْرِ عُيوبِ نَفْسِه وعَوْراتِها بلباسِ التّقوى ، كما فى قوله تعالى:« يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ* يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا» (سورة الأعراف ٢٦ - ٢٧)

أخى الكريم نلاحظ حاليا أن المطالبة بحرِّيَّة الجسد تَحَوَّلت تدريجيًا إلى ثورةٍ على الدِّين، وعلى الأخلاق، وعلى الفضيلة، وعلى التّقاليدِ ، والقوانين، وثورةٍ على الفطرةِ الإنسانيّة المناسِبَة لكلّ جنس، وتحرُّرٍ من الضّوابط، وتمرُّدٍ على المراقبة الأسريَّة، النّاتج عن سوءِ الفهم الحقيقى لمعنى الحُرِّيَّة.

لهذا نحن بحاجةٍ إلى توعيَةٍ شامِلَة، لحَسْرِ هذا المَدِّ الخطير الذى يهدِّد كيان الأمّةِ بكاملِها، وفَتْح قَنواتٍ جديدة للحِوار والنِّقاش البنّاء، حوارٍ يسعى إلى تحقيقِ الانسِجام بين الظّاهرِ والباطِن فى ممارسَةِ التّديُّن، وتحقيقِ المُصالحَة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين المـرأة والرجل، وتصحيح العلاقة الإنسانيّة بينهما.